

وديع سعادة

الْمُتَعَبُونَ يجلسون فى الساحة
يُنصَتون إلى عبور الذسمات ، التى كانت فى الأرجح
بائعين متجولين
أو متسكعين ، فقدوا أقدامهم
للمتعبين ساحة
بلاطاتها ، مع الأيام ، اكتسبت صفات إنسانية
حتى أنها إذا غاب واحدٌ منهم
تبكى .

الْمُتَعَبُونَ فى الساحة ، ووجوههم ترقُّ يوماً بعد يوم
وشعرهم يلين
فى هواء الليل والأضواء الخفيفة
وحين ينظرون إلى بعضهم ترقُّ عيونهم أيضاً
إلى درجة أنهم يظنون أنفسهم زجاجاً
ويَنكسرون

obeikandi.com

العدَمى يسكن وردة !!

منذ أن ترك بيروت ١٩٨٨ للمرة الأولى أو للمرة الأخيرة هارباً من
جحيم الحرب الأهلية . . لم تكن (أستراليا) مجرد منفى أو مكاناً آخر
للإقامة . .

لم يكن يبحث عن وطن وجده ديفيد معلوف فى (اللغة) ووجده
آخرون فى (حقبة سفر) . .

كان وديع سعادة يبحث عن (غياب) . . عن فك كل ارتباط حوله
. . عن هدم المكان والإقامة والذاكرة . . يبحث عن فرحة النسيان . .

درب نفسه طويلاً وبحم على إدارة الأكتاف وإحداث المسافة
العميقة بينه وبين الأشياء ، بينه وبين الآخرين . . درب نفسه على قتل
الذاكرة والتذكر والرغبة والوجود والأمكنة ، وعلى قتل نفسه تماماً .

كيف تنسى نفسك

أمامك حل وحيد

أن تقتلها ...

وقتلتها !

فى زيارته الأولى للقاهرة هذا الأسبوع بمبادرة شخصية من
د. كلاريسا بيرت ، أستاذ الأدب العربى بالجامعة الأمريكية ، حيث
أقامت له أمسية شعرية صاحبها بعض الترجمات . .

بدا وديع سعادة(*) بعيداً تماماً وحريصاً أيضاً على حماية ابتعاده .

(*) جريدة أخبار الأدب - القاهرة - ١٠ / ١١ / ٢٠٠٢ م .

رجل هادئ . .

قليل الكلام (حيث الكلام عزله) . .

قليل التواصل (حيث الآخرون شيء بعيد وغريب ، لا نراه ولا نعرفه ،
وتقريباً ليس موجوداً) .

لا يمنح نفسه لأحد بسهولة ولا يريد . . ليس (عاطفياً) تماماً ، ليس
(حميمياً) تماماً . . لم تشى القاهرة له - كمكان أول - بأية دهشة ، لم
تحضر معها أسئلتها الثقافية والإبداعية ، لم يسأل عن أحد فيها . .
شعرائها ، كتابها ، رسامها (مرة وحيدة سأل عن نوبة الضربة الواقعة
على المواطن) . .

أيضاً لم يذكر بيروت . . لم تعد مكانه ، فلم يعد لأحد مكان
حقيقى . . (على الكتاب أن يحركوا التراب ويوسعوا النعوش) . .

لم يهتم وديع سعادة كثيراً . . بدقة أكثر . . لم يبد اهتماماً ظاهراً
بشيء حين زرت معه الأهرامات و« أبو الهول » . . لم يندهش . . لم
يغالبه السؤال أو حتى يغالبه الفضول . . التاريخ بأكمله لا يعنيه . .

بدا الأمر مفارقاً ومثيراً للدهشة . . كيف لهذا العدمى المحفى بالموت
(حيث الحياة تمرين على جمال الرحيل) أن يمضى غير عابئ بذلك القبر
العظيم . . فقط حين هبت بعض الأتربة أمام الهرم الأكبر تذكر ديوانه
الأخير (الغبار) . . !

قلت له : أنت وديع تماماً ، لعلك تشبه قصيدتك ؟

حدثنى عن التطابق الضرورى بينه وبين القصيدة ، موضحاً
أنه لا يستطيع أن يكتب مدافعاً عن (الديموقراطية) إذا كان فى الواقع
(ديكتاتوراً) . . وأضاف احتقاره للسياسة والسياسيين .

وحين سألته عن عمله كمدير تحرير جريدة النهار الأسترالية (تصدر باللغة العربية) أدهشتنى الإجابة . . فهو يقوم بكتابة المقال الافتتاحى وهو على الأغلب مقال سياسى !

قلت : ما هذا التناقض ؟

حدثنى عن احتياجات أطفاله وظروف المعيشة واضطراره ، ولكنه لم ينس أن ينفى لى عدم حفاوته بتلك المقالات وعدم احتفاظه بها وعدم أهميتها .

ليس حميمياً تماماً وديع سعادة ، ولكنه أمام فيض الاهتمام بحضوره الأول إلى القاهرة ، اكتفى بتعليق عابر (القاهرة هي العاصمة العربية الوحيدة المهمومة بنشاط ثقافى جاد) .

أشبه بحضور الغائب . . هكذا بدت زيارته الأولى للقاهرة ، مثيرة لقائمة المنتظرين قدومه ، تحديداً لجيل شعراء التسعينيات أو شعراء (القصيدة الجديدة) كما يحب هو أن يسمى (قصيدة النثر) . .

وقفوا ينتظرون قدومه . . فمنذ أن قرأوا ديوانه الخامس (بسبب غيمة على الأرجح) ١٩٩٢ ، ومنذ أن طبعت هيئة قصور الثقافة مختاراته الشعرية فى سلسلة آفاق الكتابة عام ١٩٩٨ . . ووديع سعادة يحتل تاريخ الورد ، مجلداً النموذج الأكثر حضوراً لدى شعراء قصيدة النثر . .

لم يعد محمد الماغوط صاحب الظل الأكبر على قصيدتهم . . ربما كانت (الأيديولوجيا) سبباً . . هذا الانخراط السياسى الساطع فى قصائده وكتاباته ومواقفه ، تلك القضايا التى ينفرون منها جميعاً هى ما دفعتهم بعيداً جداً . . أيضاً كان أنسى الحاج دائماً بعيداً جداً وحيداً

فى قصيدته وعزلته الأكثر أحكاماً . . سركون بولس أيضاً بأعدته العقائد
الكبرى وميحيته العميقة .

غاب شعراء قصيدة النثر الكبار . . أو مارس شعراء قصيدة النثر فى
مصر تغييهم . .

فقط تشبثوا بوديع سعادة . .

حيث لا عقائد ولا أيديولوجيات .

حيث لا ثقافة رفيعة أو كنوز مختبئة . .

حيث لا عنف ولا تعال . . جماليات مكشوفة وسافرة . . لغة
تؤسس بساطتها المتناهية واختلافها عبر تفاصيل قريبة ومتاحة . .

نص يناقض المجاز ، لا يقبل التأويل . . نص واضح المعنى مشحون
بكل الدلالات الممكنة أو (بفائض الدلالة) كما وصفه نصر أبو زيد (حين
التقى بوديع سعادة منذ أسابيع مضت فى ألمانيا) .

قصيدة وديع سعادة طاقة مذهشة على توليد الصور المبتكرة ، غير
المسبوقة بكثافة دلالية بل بدلالات مكتملة ، . ومستوفاة ، لا تختزن شيئاً
ولا تخفى شيئاً وراءها . . ذلك فائض دلالاتها المحددة والمكتملة .

قصيدة واضحة المعنى ، تفضح سرها كاملاً ، وتطلق صيحتها جملة
واحدة كى لا نعود من جديد . . إنها إحدى فنون الصورة وإحدى فنون
العصر الاستهلاكى المعاصر .

قصائد وديع سعادة كاملة الدلالة . . تلك خصوصية وفردة صورة
وخبرته الجمالية العميقة وسليقته الموهوبة . . وهى أيضاً مأزق القصيدة
أيضاً حين تتشابه الجملة الجمالية دون مسافة تذكر بين ديوان وآخر . .

دون فارق لاف ت بين الدواوين الأولى (ليس للمساء إخوة) (مقعد راكب غادر الباص) والدواوين الأخيرة (محاولة وصل ضفتين بصوت) ، (نص الغياب) أو (الغبار) .

(فائض الدلالة) يعادل أحياناً (إبطال الدلالة) فى الانتهاء بالتجربة الجمالية إلى أفق مغلق ، لا يمتلك مقومات الاستمرار .

هل كانت تلك الجماليات ذاتها وراء قرار وديع سعادة الفجائى بالتوقف عن كتابة الشعر ؟!

ذلك موقفه وتلك قناعاته - كما يؤكد - بعدما فقد سؤال الجدوى وطموح التغيير . . وإن كنت لا أصدق كثيراً تلك القرارات المبهمة . . ومثلما تظل الكتابة خارج مساحة القرار المتعمد والقصدى ، يظل التوقف عنها أيضاً خارج تلك المساحة المحسومة الصارمة .

لكن سعيد الكفراوى ، فى ندوة الجامعة الأمريكية ، أعاد سؤال الجدوى على مشروع وديع سعادة بأكمله ، مشيراً إلى انغلاق الدائرة وعجز الرؤى الإنسانية العامة عن تحقيق أية فاعلية أو تغيير !

سؤال لم يلتفت إليه وديع سعادة ، لكننا نواصل الاستطراد هل (الحق والغير والجمال) فى صورته المطلقة ، خارج المواضع والتحديدات والأمكنة يمتلك قدرة التغيير ومسألة الواقع ؟

هل ذلك المطلق البعيد ينطوى على بذرة التوقف والعجز بالضرورة ؟

هل تلك العدمية المفرطة . . تلك العدمية الموت . . ذلك التفكيك

المتواصل للعالم يمكن أن تطرح جدوى ؟

يرى أحمد طه أن وديع سعادة أشبه ببطل رواية (المحميم) لهنرى باربوس ، والذي رصده كولن ولسون كنموذج (للامتى) المعاصر ، ويرى عبد المنعم رمضان أن خصوصية وفتنة وديع سعادة فى تلك المسافة المحكمة بينه وبين (العدم) . . بينه وبين (موضوعه) .

نقرأ وديع سعادة فلا نعرفه (شخصياً) . . وحين نلتقى به . . أيضاً لا نعرفه (شخصياً) . . فهو لا يكتب حكاياته وأشخاصه ووقائعه . . لا يكتب عن الأماكن التى أقام فيها أو سكنها ، ولا عن المرأة التى أحبها والوجوه التى التقاها . . حتى الريف الذى يطل بين القصائد لا نستطيع أن نجزم إنه ريف لبنانى تماماً . . إنه ريف عام نجده فى أى مكان بالعالم وفى كل مكان . .

لا يكتب تاريخه الشخصى ، لا يريد أن يترك أثراً . . لا يريد أن يرتكب خطيئة أو يرتكب إقامة . . لا يريد مصادقتك ، لا يريدك أن تقترب كثيراً ، ولا يريدك أن تتعرف على ذاته (الخاصة) . . تلك التى قتلها يوماً . . ويحاول أن يقتلها دائماً . .

إنه فقط يعجد (العدم) . .

* * *